(EISSN :2602-5434) -(ISSN:2437-0231)

تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها

معالم للتأليف البلاغيّ للناطقين بغير العربية

Teaching Arabic Rhetoric For Non-Native Speakers

د. عبدالحليم محمد عبدالله

أستاذ مساعد في اللغة العربية

جامعة ماردين آرتقلو- تركيا

dr.halim40@gmail.com

تركيا

تاريخ الإرسال:2019/11/27 تاريخ القَبول: 2020/01/01 تاريخ النّشر:2020/06/15

الملخص

عندما درّسنا البلاغة العربيةللناطقين بغيرها بواسطة كتب البلاغة التي وضعت للعرب ارتفعت أصوات الطلبة تذمُّرًا وشكاية، بسبب صعوبتها عليهم، إذ اختلاف المخاطب يجب أن ينبني عليهاختلاف في طبيعة الخطاب، ولكن كتبنا البلاغية التي قدّمناها للناطقين بغيرها هي كتب عربية أو كتب صنّفها أصحابها على نمطالكتب المؤلّفة للعرب فلم تُؤتِ أكلها، هذا البحث هو رؤيةٌ جديدة - من خلال تجربة عملية - لرسم مسار جديد خاص بالتأليف في البلاغة العربية للناطقين بغيرها.

الكلمات المفتاحية: تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها – نقد – توجيه – رؤية جديدة – منهج دراسي.

Abstract

The problem arises from teaching non-native speakers of Arabic through books designed by native Arab speakers. For different audiences, the discourse and approach should be different. A number of books have been written, specifically for this group, which is intended for the non-native speakers, simplifying the examples and reducing the quantity. Yet this subject thus becomes hard to those non-native students and it's not achieved the desired goals. This paper presents a new vision gained through practical experience, to develop a new approach for authorship in Arabic rhetoric to non-native Arabic speakers.

Words Key: Teaching Arabic Rhetoric For Non-Native Speakers, Criticism, Guidance, New Vision, Curriculum.

أهمّيّةُ البحثِ وغرضُهُ

يَنْطَلِقُ هذا البَحثُ مِنْ واقعِ التَّجْرِبَةِ العَمليَّةِ في أنَّ المقَرَّراتِ الدِّراسِيَّةَ - الّتي تُدرَّسُ بِواسِطَتِها البَلاغَةُ العَرَبِيّةُ للنَّاطِقينَ بِغَيرِها - غيرُ مُناسِبةٍ للطَّلَبةِ الأجانِبِ، ويُقَدِّم المسوِّغات لهذا الحُكْمِ، ويقْتَرِحُ مَعالِمَ البَدِيلِ لَها.

أمّا الغرضُ منه فهو تقويم مناهج البلاغة العربية للناطقين بغيرها، وتقديم رؤية جديدة لمنهج في البلاغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء علم اللغة التطبيقي والتجربة العملية، وتُراعى فيه مبادئ التأليف للناطقين بغيرها، ويُراعى فيه الاستخدام البلاغي للغة، ويُتخلّى فيه عن الدّلالات المكتسبة من السّياق لا من الظّواهر اللّغوية.

الدّراسات السابقة:

أغلب الدراسات السابقة التي وقفت عليها كانت دراسات تناولت صعوبات تعليم البلاغة العربية لدى الناطقين بالعربية، فيما كانت دراسة واحدة لصعوبات تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها؛ فإن كان تعليم البلاغة للطلبة العرب على هذه الصعوبة، فإن تعليمها للناطقين بغيرها أصعب وأشقّ. وهي:

- دراسة بعنوان: معوقات تدريس البلاغة كما يراها المعلمون والمديرون والمشرفون في إقليم جنوب الأردن، ناصر المخزومي، مجلة الخليج العربي، 2002م، وقد وجدت هذه الدراسة أن أهم المعوقات ترجع إلى مهارات التدريس وقصور مقرر البلاغة.
- دراسة بعنوان: مدى تحقيق محتوى كتب البلاغة لأهدافها التعليمية بالمرحلة الثانوية، لفيصل علي حسين العزب، جامعة ذمار، اليمن 2010م،

وقد أظهرت هذه الدراسة ضعف تحقيق محتوى كتب البلاغة لأهدافها التعليمية في المرحلة الثانوية.

- دراسة بعنوان: تقويم مدى تحصيل المرحلة الثانوية بسلطنة عمان للمفاهيم البلاغية المقررة عليهم ومدى توظيفهم لها في كتاباتهم، للمرشحة شكور بنت أحمد بن خالد، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان2010م، وكان من أهم نتائج هذه الدراسة تدنّي مستوى تحصيل الطلبة للمفاهيم البلاغية، وأرجعت ذلك إلى أسباب متعددة يعود بعضها إلى المتعلم وأخرى إلى قصور المناهج الدراسية فضلا عن أسباب أخرى.
- دراسة اعتنت بواقع تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها بعنوان: صعوبات تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها "جامعة شرناق/تركيا أنموذجا" مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الثالث والعشرون، 2016م. للدكتور تيسير محمد الزيادات، وقد وجد أن الدرس البلاغي على شريحة الدراسة كان صعبا، وأن الصعوبات متعددة، قسم منها يرجع إلى المتعلّم، وقسم يرجع المقرر الدراسي، فضلا عن صعوبات أخرى.

وقد انتهت هذه الدراسات جميعها إلى نتيجة فحواها أن واقع تدريس البلاغة العربية يعاني من خلل وقصور، وأن معوقات تدريسها ترجع إلى أسباب متعددة؛ من أهمها: قصور المناهج التعليمية، وقلّة ذخيرة المتعلّم، فضلا عن أسباب أخرى تتمثّل بطرائق التدريس؛ ولذلك فنحن بحاجة إلى إيجاد منهج بلاغي يُبنى على أسس علمية يُراعي احتياجات المتعلمين، وينطلق من خصوصياتهم.

تَوطئة ومهاد:

غَيرُ خافٍ عَلى مُتابِعٍ أنَّ تَعْليمَ اللُّغَاتِ الأَجْنَبيةِ أَصْبَحَ فنًّا قائمًا بِذَاتِهِ، لَهُ أُصولُهُ وَمَبَادِئُهُ وأَسَاليبُهُ الخَاصّةُ، وأنَّ أَغْلَبَ الدّولِ والشُّعوبِ تَأْخُذُ بِهَذَا العِلْمِ الجَديدِ لدَعْمِ تَعْليمِ لُغَاتِها لِلنَّاطِقينَ بِغَيرِهَا.

واللُّغةُ العَرَبيّةُ لَيسَتِ اسْتِثْنَاءً مِنَ اللُّغَاتِ الحَيّةِ في اسْتِفَادَتِها مِنَ النَّظَريّاتِ الحَديثةِ في تَعْليمِ اللُّغَاتِ، وَإنَّمَا هِيَ اسْتِثْنَاءٌ في اتّسَاعِها وَقِدَمِها وغِنَاهَا بمُفْرَدَاتِها وَمَعَانيها الحَقيقيّةِ والمجَازيّةِ بَيْنَ سَائِرِ اللُّغَاتِ، وهَذَهِ الخُصوصِيَّاتُ تَجْعَلُ تَعْليمَ اللُّغةِ العَرَبيّةِ مَهَمّةً أَدَقَّ وأَشَقَّ عَلى المعَلّمينَ والمتَعَلّمينَ؛ إذا لَمْ تُرَاعَ فيها الأُصولُ الَّتِي انْتَهَى إلَيْها الدَّرْسُ الحَديثُ في تَعْليمِ اللُّغَاتِ الأَجْنَبيّةِ للنَّاطِقينَ بِغَيْرِها.

وَليكونَ التَّعْليمُ صَحيحًا يَجِبُ أَنْ يُؤْخَذَ بِعَينِ الاعْتِبَارِ الهَدَفُ مِنْ تَعَلُّمِ هَذَهِ اللُّغة أَو تِلْكَ، وإِذَا كَانَ الهَدَفُ التَّوَاصُليُّ في تَعَلُّمِ لُغَةٍ ما هدفًا محوريًّا، فَإِنَّ هَذَا الهَدَفَ لا يَنْسَحِبُ عَلَى النِّسْبةِ العُظْمَى مِمَّنْ يُريدونَ تَعَلُّمَ اللُّغة العَرَبيّة، إِذْ إِنَّ الكثر مِمَّنْ يَتَعَلَّمونَها، إِنَّمَا يَتَعَلَّمونَها لِأَهْدَافٍ مختلفة، ويُمْكِنُ أَنْ نَضَعَ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الأَهْدَافِ الخَاصّةِ الأَهْدَافَ الدّينيَّةِ، وهُمْ في ذَلِكَ يُحَاوِلونَ مِنْ خِلَالِ عَمَليَّةِ التَّعَلُّمِ فَهْمَ الدّينِ الإسْلَاميّ، وفَهْمَ القُرْآنِ الكَريمِ، فَهْمًا صَحيحًا، مِنْ مَصَادِرِهِ الأولَى مِن دونِ تَرْجَمةٍ وَلَا وَسيطٍ، وبناء عليه فإن تدريس البلاغة لهم ينبني على ثلاثة أهداف: الهدف الديني الذي أسلفنا ذكره، ويسايره هدفان آخران: تعليمي لتمكين الطلاب غير الناطقين بالعربية من استعمال اللغة العربية، فهما وإتقانا، وهدف نقدي لتمكين الطلاب من الموازنة بين النصوص الأدبية، فضلا عن تكوين ملكة لتذوق النصوص والاستمتاع واظهار مفاتن جمالها وسحرها الأدبي والفني.[1]

ولِأَنَّ القُرْآنَ الكَريمَ نَصٌّ مُعْجِزٌ بَلَاغةً، فَلَا يُمْكِنُ لِمُتَعَلِّمِ العَرَبيّةِ أَنْ يَفْهَمَ عَرَبيّةَ القُرْآنِ الكَريمِ مِن دونِ الأَسَاسِ البَلَاغِيّ اللَّازِمِ ليرْتَكِزَ عَلَيهِ وَيَسْتَنِدَ إِلَيْهِ في فَهْمِ هَذَا النَّصِّ المعْجِزِ، ولِذلكَ فَإِنَّ كُلِّياتِ العلومِ الإِسْلاميَّةِ في تُرْكيا تُدَرِّسُ مادَّةَ البلاغةِ في مُقرّراتها الدِّراسيَّةِ، إيمانًا مِن مَجْلِسِ التَّعْليمِ العالي بِضرورةِ إتْقانِ طالبِ العلومِ الشَّرْعيَّةِ لهذهِ المادّةِ، لكنَّ المدَرِّسينَ يختارونَ كتابًا من الكُتبِ التَّعليميَّةِ الحدِيثةِ التي أُلِّفت لتعليم البلاغة للعربِ – كالبلاغة الواضحة على سبيل المثال- ليكون مُقرّرًا بين أيدي الطَّلبةِ، ولكنْ ثبتَ أنَّ هذا الاخْتيارَ ليسَ بالاختيارِ الصَّحيحِ، فَنَهَدَ بَعضُ المعْنيينَ بتعليمِ البلاغةِ للناطقينَ بغير العربيَّةِ لِتأليفِ مُقَرَّراتٍ تَوَخَّوا أنْ تَكونَ مُناسِبَةً للطَّلبةِ المشارِ إليهم سابقًا، فوُجِدَ مِنْهَا عدَدٌ غيرُ قليلٍ، وَلَكِنَّ هَذَهِ الكُتُبَ لا تُقَدِّمُ الدَّرسَ البلاغيَّ للمتَعَلِّمِينَ انْطِلاقًا من خَصائصِهم النفسيَّةِ واللغويّةِ والمكانيَّةِ، فجاءتْ لا تلبّي احتياجاتِهم، ولم يَرْجِعُوا مِنها بِزادٍ يُعَوَّلُ عليهِ في فَهْمِهم للنَّصِّ القُرْآني، ولا بِتَذَوُّقِهِ والوقوفِ على جَماليَّاتِهِ.

دلالاتٌ محلّ نظر

أجْهدَ البلاغيّونَ أنْفسَهُم في الحديثِ عن دلالاتٍ ليستْ مِنْ دلالاتِ الظَّاهرةِ اللغويّةِ، وإنَّما كانتْ دلالاتِ السِّياق، ثُمَّ نَقَلَ اللاحقُ عَنِ السَّابقِ، حتَّى وصلتْ تلكَ الدّلالات إلى كُتُبِ غير الناطقين بالعربية، فجَشَّموا المتَعَلِّمينَ مَرْكِبًا صَعْبًا، وهي دلالاتٌ فيها نظر، ولا يُسَلَّمُ بها، ومِنَ الأمْثِلةِ على ذلك دلالات اسم الإشارة؛ إذْ إنَّه قد يخرج للدلالة على أن (السامع غبي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحسّ) على حدّ تعبير السكاكي والقزويني،[2] أو لغرض (التَّعْريض بِغباوةِ المتلقّي)على حدِّ تعبير عبدالرحمن حبنَّكة والهاشمي،[3] أو لغرض (الإشارة الى انحطاط منزلته ودرجته) على حدِّ تعبير محمد أحمد قاسم وشريكه،[4] أو (للإشارة إلى أنه وضيع، منحط الدرجة) على حدِّ تعبير المراغي،[5] كقول الفرزدق:

أولئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المجَامِعُ[6]

فهل خرج اسم الإشارة حقا للتعريض بغباوة السَّامع؟ ولماذا لا يكون قد خرج إلى مدح أجداده؟ فاستخدمَ للإشارةِ إليهم اسمَ الإشارةِ الدّالّ على البعيدِ، فأنزلهم منزلةً عاليةً بهذا الاستخدام.

وهَبْ أنَّ الدلالةَ التي أوردها البلاغيونَ صَحيحةٌ، فهل في دلالاتِ اسم الإشارةِ التّعريضُ بغباوةِ السامع؟ وهل مبعثها استخدام اسم الإشارة أم السياق العام بكل ما فيه من سياقاتٍ فرعيةٍ: اللغة والمكان والزمان والموضوع، وخصوصا أنّه في منافرةٍ مع خصمِهِ اللَّدودِ جريرٍ؟؟

كما يذهب البلاغيون إلى أنّ دلالة اسم الإشارة تخرج إلى "كمال العناية وتمييزه أكمل تمييز - كقول الفرزدق:[7]

هذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمِ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

والحقيقة أنّ السياق يقتضي هذا المعنى، فكأنّ الشاعر أراد أن يفحمَ المخاطب – الذي تجاهل الممدوح وهو زين العابدين – بالإشارة إلى رفعة شأن ممدوحه فاستخدم اسم الإشارة لينص على هذه الدلالة، لكنّ السؤال الملحّ: هل هذه الدلالة أصيلة في اسم الإشارة أم أنها مكتسبة من السياق؟ ولماذا توقف البلاغيون عند هذا البيت، بينما في القصيدة نفسها أبيات أُخَر استخدم فيها الشاعر اسم الإشارة (هذا) ومن ذلك قوله:

وليس قولك من هذا؟ بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم[8]

فهل خرج اسم الإشارة ههنا إلى تمييز المشار إليه أكمل تمييز والعناية به؟ قد لا يختلف اثنان على أنّ المعنيان مختلفان، فاسم الإشارة هنا وهناك قد وردا بمعنيينِ متضادّينِ، فتضافرُ اسمي الإشارة والاستفهام في قوله: مَنْ هذا؟ يُوحِيانِ بجَهلِ المستفهِم بحالِ المستفهَمِ عنه، أو بِتجاهله.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فأين الدلالة التي ساقها البلاغيّون لاسم الإشارة (كمال العناية وتمييزه أكمل تمييز) في هذا البيت؟ بل إنني أخلص من خلال هذين

المثالين أن هذه الدلالات مكتسبة من السياق لا من طبيعة الأصل اللغوي المستكنّ في اسم الإشارة، وإن كان الأمر كذلك فعلام نثقل أذهان الطلبة في استظهار عشرات الدلالات المنبثقة عن السياق.[9]

ولنا أن نتخيّل الدلالات التي يسوقها البلاغيون للاسم الموصول، كـ: عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، أو لاستهجان التصريح بالاسم، أو لزيادة التقرير، أو للتفخيم، أو لتنبيه المخاطب على خطئه؛ أو لتنبيه المخاطب على خطأ غيرهِ، أو للإيماء إلى وجه بناء الخبر، أو لتعظيم شأن الخبر، أو تعظيم شأن غيره، أو جعله ذريعة إلى تحقيق الخبر.

فالموصول يكون لإرادة التفخيم والتعظيم أو التهويل[10] -كما حدد ذلك البلاغيون - في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[11] فهل الموصول هو الذي أفاد التفخيم والتهويل حقًّا؟ أم أن التهويل انتزع من السياق بكل ما فيه من كلمات تضافرت معانيها وعلاقاتها فيما بينها لتفيد هذا الموقف؟ فدلالة فعل الغشيان إلى جانب معنى اليم الذي يدل في أصل معناه على التعظيم والتهويل ثم تكرار فعل الغشيان في جملة الصلة فضلا عن استخدام الاسم الموصول كل ذلك أفاد الدلالة التي أشار إليها البلاغيون على أنها دلالة الاسم الموصول، وهي ليست للاسم الموصول، بل "الذي يحدد ذلك هو السياق وقرائن الأحوال وما يقتضيه المعنى".[12]

ومن الدلالات أو الدواعي لاستخدام الاسم الموصول عند المصنفين في البلاغة قولهم: " الإشارة إلى أنّ الوصف الذي دلّت عليه صلة الموصول هو علة بناء الحكم في الجملة، هذا نظير قول علماء أصول الفقه: بناء الحكم على المشتقّ يُؤْذن بعلّيّة ما منه الاشتقاق، والإشارة أيضًا إلى أن الوصف الذي دلّت عليه صلة الموصول يقتضي الالتزام بالتكليف الذي يأتي بعده، والأمثلة على هذا الداعي بفرعيه كثيرة في القرآن المجيد، فمنها ما يلي: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَأَقَامُواْ الصلاة وَآتَوُاْ الزكاة لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[13] أي: هذا الجزاء الكريم لهم إنّما هو بسبب اتصافهم بالإيمان والعمل الصالح وَإقام الصلاة وإيتاء الزكاة".[14]

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما المعنى الذي يفيده الاسم الموصول إذا جرّدناه من الصلة؟ وهل يبقى فيه من خصوصيات المعنى غير دلالته على المذكر والمؤنث أو المفرد والمثنى والجمع؟ بالتأكيد لن يبقى غير ذلك، وكل المعاني التي ألحقها البلاغيون بالاسم الموصول إنما هي مستقاة من صلته؛ لأنّ "الاسم الموصول هو اسم مُبْهَمُ الدلالة لولا صلته الكاشفة للمراد به، والمعرَّفةُ حقًّا بما يرادُ الدلالة به عليه"[15] وبالتالي فإنّ ما ساقه البلاغيون من دلالات للاسم الموصول فيه نظر؛ لأن هذه الدلالات هي دلالات السياق العامّ كما فهموه مَنْ ساقَ تلك الشواهدَ، وقد تنبّه غير واحد من البلاغيين المحدثين إلى دلالة السياق ونبّه إليها؛ "فترى هذا الأسلوب في أكثر صوره إنما يعول على السياق، والقرائن، وكأنه باب من أبواب شجاعة العربية "[16] و"وضع الكلمة موضعها من السياق والنظر إليها على أنها لبنة في بناء محكم الأواصر أمر ينبغي أن يوضع في الاعتبار لدى الدارسين في البلاغة والنقد؛ لأن الكلمات لا تكتسب دلالة محددة قبل أن توضع في السياق".[17]

والذي أراه أن دلالات المعنى إنما تستخلص من السياق، من خلال التفاعل بين السياق المقامي والمقالي للظاهرة من خلال "تأثير ظروف الموقف التواصلي على المقال تقديما وتأخيرا وتبئيرا"[18] فالسياق هو القادر على أن يحوّل دلالة الكلام من معناه إلى ضدّه، "فالمفهوم من هذا السياق أن المقصود بجملة: أنت رجل عظيم. ليس المدح بل الذم والسخرية في حين أن دلالة الجملة منفصلة عن سياقها تفيد المدح والتعظيم، وهذا أمر لا بد من أن يدركه الكاتب من خلال دراسته لعلوم البلاغة، وقد تتحول الجملة الإنشائية عن معناها إلى معنى آخر جديد تصبح فيه ذات طابع إخباري".[19]

والذي أريد الخلوص إليه أن دلالة الاسم الموصول المذكورة إنما هي دلالة جملة الصلة من طرف، ودلالة السياق من طرف آخر، والحقيقة أن هذا الإقرار موجود خلف الكلمات وما بين السطور في بعض التصنيفات البلاغية، وقد سبق أن قدّمت بالأمثلة التي تؤيّد هذا الرأي، على أن المشكلة لا تنحصر في دلالة الاسم الموصول – الذي سقنا دلالاته أمثلة لما نذهب إليه- فقط، بل هي في دلالة الموصول والإشارة والضمير، وفي بعض دلالات التقديم، أما التأخير فقد حمّلوه أكثر مما يستوعب من دلالات؛ علما أنه حركة لازمة عن التقديم، وبناء على ما سُقتُهُ على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، أخلصُ إلى إشكالية البحثِ، وهي أنَّ مناهج البلاغةِ العربية – ولا سيما علم المعاني – غير مناسبة للطلبة الأجانب، وتحتاج إلى إعادة نظر وتأليف جديد.

على أنني لست الوحيد الذي أحسّ بضرورة تحديث الدرس البلاغي، إذ جرت محاولات لذاك، و" كان من المتوقع أن يتأثر تدريس البلاغة في الأكاديميات والمدارس العربية بمحاولات تحديثها؛ سواء في أهداف التدريس أو طرقه، أو مناهجه، أو مقرراته، أو أساليب تقييمه، أو وسائطه، أو غيرها، لكن الواقع يُقدِّم معطيات مغايرة ... فمازالت البلاغة السكاكية بتقسيماتها التقليدية ومسائلها وشواهدها ولغتها مهيمنة على تدريس البلاغة." [20]

تَوْصيفُ المقَرَّراتِ البلاغيَّةِ العرَبيَّةِ التي تُدَرَّسُ للنَّاطقينَ بِغَيرِها

لَجَأَ غَيرُ واحدٍ مِنَ الزُّمَلاءِ الأكاديميينَ العاملين في مجال تدريس العربية للأجانب إلى بَعضِ كُتُبِ البلاغةِ العربيةِ المعاصِرةِ التي أُلِّفَتْ لِلعَربِ، ومِنْ هذهِ الكتبِ:

1. البلاغةُ الواضحَةُ لـ علي الجارم ومصطفى أمين، ط: دار المعارف، د.ت

2. جواهرُ البَلاغةِ في المعاني والبيانِ والبديعِ، لأحمدَ بْنِ إبراهيمَ الهاشِميّ (ت: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

وغيرها من كتب البلاغة المعاصرة التي تناولتِ البلاغةَ تناولا تعليميا.

وهي كُتُبٌ تعليميةٌ جيدةٌ – رَحِمَ اللهُ مُؤَلّفيها – غيرَ أنَّها وُضِعَتْ يومَ وُضِعَتْ للعربِ، وليسَ للأجانبِ، ولذلك وجدَ طُلابنا صعوبةً في تلقّي البلاغةِ بواسطَتِها.

ذَكَرْتُ آنِفًا أنَّ المدرّسينَ المعْنِيينَ بتعْليمِ البلاغةِ أحسُّوا بِعدمِ مُناسبَةِ الكتُبِ التَّعْلِيميَّةِ العربِيَّةِ للنَّاطِقينَ بغيرِ العربيَّةِ، فانْبَرتْ ثُلَّةٌ مِنْهُم تَضَعُ مُصَنَّفاتٍ لهذا الدّرسِ، وتُذلِّلُ ما وَجَدَتْ فِيهِ مِنْ صُعُوباتٍ، فنالُوا بِذَلكَ قَصَبَ السَّبْقِ وشَرَفَ المحاوَلةِ، ومِنَ كُتُبِ البَلَاغةِ العَرَبيّةِ للنَّاطِقينَ بِغَيْرِهَا:[21]

1. البَلاغةُ والنَّقْدُ الأَدَبيّ: تأليف مجموعة من المؤلفين بإشراف الدكتور عبدالله بن حامد الحامد، ط2: جامعة الإمام- الرياض 2004م.

وكان لِمُؤَلِّفِيهِ الفَضْلُ في إسْقاطِ بَعْضِ الموضوعاتِ، وعَدَمِ الإصْرارِ عليها كلّها، فَضْلاً عن طريقةِ عرضِ المادةِ التعْليميَّةِ.

2. المُيَسَّرُ في البَلَاغة للنَّاطِقينَ بِغَيْرِها: للأستاذ الدكتور علي بولوط، ط1: إستنبول 2014م.

وكانَ لِمُؤَلِّفِهِ الفَضْلُ في تَيسيرِ الموضوعاتِ، والعنايةِ باختيار الأمثلةِ والشواهدِ، وتَحْدِيثِها.

3. البَلَاغةُ المصَوَّرةُ: د. إيهاب عبد الرشيد سليمان، ط: مركز الدِّيوان، سلسلة العربيّة للعالم. د.ت.

وكانَ لِمُؤَلِّفِهِ الفَضْلُ في اتِّبَاعِ فِكْرَةٍ رائدَةٍ في البلاغةِ، إذْ أضافَ المؤلِّفُ رُسُوماتٍ تُوضِّحُ التَّشْبيهاتِ التي هو بِصَدَدِ الحَدِيثِ عَنْها.

لكنَّ الكتبَ الَّتي أشَرْتُ إليها آنفًا تَمَسَّكَتْ - بشكلٍ أو بآخر- بالمسارِ العربيِّ في التَّأليفِ البَلاغيِّ، وأرى أنْ نَقِفَ عِندَ هذا المسارِ لِتَوضِيحِهِ والوقوفِ على مَدى صُعُوبَتِهِ على غيرِ الناطقينَ بغيرِ العربيّةِ.

المسار العربي في التأليف البلاغي

يُمكِنُ أنْ يَتَصَوَّرَ المعْنِيُّ بالدَّرسِ البلاغيِّ وتَآليفِهِ المسارَ المتَّبعَ في أغلبِ كُتُبِ البَلاغةِ العَربيّةِ على الشَّكْلِ الآتي:

مُقَدَّمة عَنِ الفَصَاحةِ والبَلَاغةِ، تَحْتَوي عَلَى أَمْثِلةٍ خَرَجَتْ عَنْ قَوَانينِ الفَصَاحةِ والبَلَاغةِ، مِنْ تَنَافُرٍ بَيْنَ الأَصْوَاتِ في البَيْتِ الشِّعْريِّ، إِلَى خُروجٍ عَنِ القياسِ الصَّرْفِيِّ، إِلَى تَعْميةٍ في المعْنَى وإِغْرَابٍ في الأَلْفَاظِ، إِلَى عَوْدٍ غَيْرِ وَاضِحٍ للضَّميرِ في الجُمْلة.. إلخ، والخُلَاصةُ الَّتي أَبوحُ بِها أَنَّها مُقَدّمةٌ صَادِمةٌ لِمُتَعَلِّمٍ قَليلِ الزَّادِ في العَرَبيّةِ.

ثُمَّ يَأْتي **البابُ الأَوَّلُ** وَهو عِلْمُ المعَانِي، وَأَوَّلُ مَا يُطَالِعُهُ المتَعَلِّمُ في هَذَا القِسْمِ الإِسْنَادُ بِكُلِّ تَفْصيلَاتِهِ، وأَحْوَالُ المسْنَدِ إِلَيْهِ، وأحْوالُ المسْنَدِ، وأَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الإِسْنَادِ، والخَبَرُ والإِنْشَاءُ، وأَنْوَاعُ الإِنْشَاءِ، والقَصْرُ.. ومِنْ ثَمَّ دِرَاسة ظَوَاهِرِ التَّرْكيبِ دَاخِلَ هَذَهِ المنْظومةِ، ورَبْطُ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ بِالمَعَانِي المسْتَفَادةِ مِنها مِنْ خِلَالِ السّياقَاتِ اللُّغَويَّةِ.

فَتَأْتي عَلَى الطَّالِبِ صَدْمةٌ أُخْرَى بَعْدَ المقَدَّمةِ ذَاتِ الشَّوَاهِدِ الَّتِي ابْتَعَدَتْ عَنِ الفَصَاحةِ والبَلَاغةِ، صَدْمةُ امْتِزَاجِ النَّحْوِ بِمَعَانيهِ البَلَاغِيّةِ، في كُلِّ أَبْوَابِهِ، فَتَكْثُرُ المعْلومَاتُ وتَزْدَحِمُ الأَسْطُرُ وَتَضيقُ الجُمَلُ، فَيُلْقِي الطَّالِبُ أَقْلَامَهُ مُعْلِنًا اسْتِسْلَامَهُ أَمَامَ صُعوبةِ البَلَاغةِ العَرَبيّةِ عَلَيهِ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ هَذَا الشُّعورِ مِنَ المتَعَلِّمِينَ إِلّا مَنْ هُو ذُو حَظٍّ عَظيمٍ.

أَمَّا **البابُ الثَّاني** وهو عِلْمُ البَيَانِ، فيَبْدَأُ بِالمَجَازِ: تَعْرِيفِهِ وأَنْوَاعِهِ وَعَلاقَاتِهِ، ثُمَّ ينتقِلُ إِلَى التَّشْبيهِ وأَرْكَانِهِ وأَنْوَاعِهِ، وَهُنا: لَمْ تَتْرُكْ كُتُبُ البَلاغةِ العَرَبيّةِ نَوْعًا

مِنْ أَنْوَاعِ التَّشْبيهِ إِلّا وأَتَتْ عَلَيهِ، مِنَ التَّشْبيهِ التَّامِ، وتقسيمه باعتبار الأداة تارةً والوجه تارةً أخرى إِلَى مُؤَكَّدٍ، إِلَى مُرْسَلٍ، إِلَى مُفَصَّلٍ، إِلَى مُجْمَلٍ، إِلَى البَليغِ،وتقسيمه باعتبارات أخرى إِلَى تامٍّ ومَقْلوبٍ، وضِمْنِيٍّ، وتَّمْثيليٍّ،..إلخ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى بَلاغةِ التَّشْبيهِ، فَدَوْرِ التَّشْبيهِ فِي تَأْدية المعَانِي.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الاسْتِعَارةِ: تَعْرِيْفِها وأَنْوَاعِها الثَّلَاثة: المكْنيَّةِ والتَّصْرِيحِيَّةِ والتَّمْثيليّةِ، ثُمَّ إلى تَقْسيمٍ آخَرَ للاسْتِعَارةِ بِاعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ: تَبَعيّةٍ وأصْلِيّةٍ ومُرَشَّحةٍ ومُقَيَّدِةٍ.. إلخ، ثُمَّ ينَتَقِلُ إِلَى بَلاغةِ الاسْتِعَارةِ، فَدَوْرِ الاسْتِعَارة في تَأْديةِ المعَانِي.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ هَذَا القِسْمُ بِالمُتَعَلِّمِ إِلَى الكِنَايةِ: تَعْريفِها، وأَنْوَاعِها: كِنَايةٍ عَنْ صِفةٍ، فكِنَايةٍ عَنْ مَوْصوفٍ، فكِنَايةٍ عَنْ نِسْبةٍ، بِأَمْثِلة مِنَ البيئةِ البَدَويّةِ: فَهَذَا كَثيرُ الرَّمَادِ، وذاكَ طَويلُ النِّجَادِ، وهَؤُلَاءِ كَلْبُهُم كَثيرُ النُّبَاحِ، وأولئِكَ قَومٌ نَظيفو المطْبَخِ ..إلخ.

أَمَّا **البابُ الثَّالِثُ** وَهو عِلْمُ البَديعِ، فيَبْدَأُ بِالمُحَسِّناتِ المعْنَويّةِ، وأَوَّلُ مَا يُدَرَّسُ فيهِ التَّوْريةُ، ثُمَّ الطِّبَاقُ فالمُقَابَلةُ..إلخ، إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثينَ نَوْعًا مِنَ المحَسِّناتِ المعْنَويّةِ، ثُمَّ المحَسِّناتِ اللَّفْظِيَّةِ، وأَوَّلُ مَا يُدَرَّسُ فيها الجِنَاسُ التَّامُ والناقِصُ، ثُمَّ السَّجْعُ.. إلخ، إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثينَ نَوْعًا مِنَ المحَسِّناتِ اللَّفْظِيَّةِ، وَبَعْدَ هَذَا وَذَاكَ، تَأتي خَاتِمةٌ فِي السَّرِقَاتِ الأَدَبيّةِ.

وَأَنَا لا أَقْصِدُ هَاهُنَا أَنْ أَسْرُدَ مَوْضوعَاتِ عِلمِ البَلَاغةِ، وما قَصْدي مِنْ إطْنابي في سَرْدِ مَوضوعاتِ عِلمِ البَلاغةِ إِلَّا أَنْ أَتَصَوَّرَ وَأُصَوِّرَ صُعوبةَ هَذَا المسَارِ عَلَى الطُّلَابِ غيرِ الناطقين بالعَرَبيّة، وأَقْتَرِحَ البَديلَ، ولَكِنْ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى تَقْديمِ البَدَائِلِ.

فَضْلاً عَمَّا تَقَدَّمَ فإنَّ أغْلَبَ كُتُبِ البَلاغةِ لم تُراعِ ضَبْطَ الكَلِماتِ بالشَّكْلِ،[22] ولا شرح المفردات، وإنْ قَامَتْ بِبَعْضِ ذاكَ، فإنَّها لَم تَتَّخِذْ مَنْهَجِيَّةً مُطَّرِدَةً فيهِ.

إرهاصات

بَعْدَما راودتني فكرةُ البحثِ عن نفسِها، كنتُ أُقَدِّمُ رِجلاً وأُؤَخِّرُ أُخرى، إذ لم أتَحلَّ بالجُرْأةِ الكافيةِ، إذ إنَّ المسار المقترحَ يحتاجُ إلى جُرأةٍ تُشْعِلُ ثورةً، فبقيتُ أُراوِحُ مكاني حتّى رأيتُ غَيرَ كتابٍ مِن كُتبِ البلاغةِ وقد عدَّلَ أصْحابُها في المسار تعديلاً بسيطا تَجَلَّى في تَأخيرِهم دِارسةَ عِلمِ المعاني إلى آخِرِ الكِتابِ، فكانَ مَسارُهم يبدأُ بالمقدمةِ، فعِلمِ البَيانِ، فعِلمِ البَديعِ، ويَنْتَهي بِعِلْمِ المعاني، ومِنْ هَذِهِ الكُتُبِ الّتي اطَّلَعْتُ عَلَيها:

1. المعِينُ في البَلاغةِ العَرَبيّةِ (البيان – البديع – المعَانِي) إعداد: قدري مايو، ط: عالم الكتب – بيروت2000م
2. الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني) د: أيمن أمين عبدالغني، ط: دار التوفيقيّة – القاهرة 2011م
3. البلاغة العربيّة (البيان والبديع والمعاني) لجامعة المدينة العالميّة في ماليزيا، لجنة التأليف في الجامعة.

فتشجَّعْتُ على قَلْبِ المسارِ العَربيّ في التَّعاطي مع الدَّرْسِ البَلاغيّ في إطارِ تقديمِهِ لِمُتَعَلِّمي العَربيَّةِ من النَّاطقينَ بِغَيرِها، فقَلَبْتُ المسارَ، فابتدأتُ بالبديعِ فالبيانِ فالمعاني؛ كما سأوضِّحُ في هذا التَّقْدِيمِ.

الأُسُسُ والمبادِئُ المعَوَّلُ عَلَيها في التَّأليفِ البَلاغيّ الجَدِيدِ

أرى أنْ يُراعَى في إعدادِ مَنهَجِ البلاغةِ العربيّةِ للناطقين بِغَيرها بعضُ المبادِئِ السَّائدةِ في التَّأليفِ اللُّغويّ للنَّاطقينَ بِغيرها.

وأهمُّ المبادِئِ والأُسُسِ الّتي أرى أنْ يَقومَ عَلَيها المنْهَجُ المنْشودُ، هِيَ:

أ) **مبدأُ التَّدَرُّجِ** مِنَ السَّهْلِ إلَى الصَّعْبِ، ومن المعلومِ إلى المجهول، ومن البسيط إلى المعَقَّدِ،[23] وفي عَمَلِيَّةِ التَّعليمِ فَإنَّ تَقْديمَ المعلوماتِ بالتدرّج ضَروريٌّ؛ لِضَمانِ تَثبيتِ المعلوماتِ في أذْهانِ الدّارِسينَ،

والمقصود بالتدرج هنا هو تقديم الدّرْسِ بطريقة تدريجية؛ أي: من السَّهل إلى الصَّعب وإلى الأكثر صعوبة، ومن الضَّروري إلى الأكثر ضرورة، ويقول ابن خلدون: "اعلم أنَّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنَّما يكون مفيدًا إذا كان على التدرّج شيئًا فشيئًا، وقليلاً قليلاً.[24]

وقدِ اسْتَقَرَّ عِنْدي مِنْ خِلَالِ التَّجْرِبةِ المَيْدَانيّةِ أَنَّ أَصْعَبَ عُلومِ البَلَاغة عَلَى النَّاطِقينَ بِغَيْرِ العَرَبيّة هو عَلِمُ المعَانِي بَعْدَ المقَدِّمةِ الصَّادِمةِ عَنِ الفَصَاحةِ وَالبَلَاغةِ، وَأَخَفَّهَا عَلَيْهِمْ عِلْمُ البَديعِ، وَيَقَعُ عَلمُ البَيَانِ بَيْنَ بَيْنَ، وبِناءً عليهِ أرى قَلْبَ المسَارِ، وَإسْقَاطَ المقَدّمةِ التَّقْليديّةِ الَّتِي تَبْدَأُ بِهَا كُتُبُ البَلَاغةِ عُمومًا، وَالبَدْءَ بِعِلْمِ البَديعِ، ثُمَّ عِلْمِ البَيَانِ، ثُمَّ عِلْمِ المعَانِي.

أمَّا عِلْمُ البَديعِ فَأرَى أنْ يُبْتَدَأَ فيهِ بالمُحَسِّناتِ اللَّفْظِيَّة، لِأَنَّ اللَفْظِيَّ مَحْسوسٌ وأقْرَبُ إلى الذِّهنِ مِنَ المعْنَوِيِّ المجَرَّدِ، وإعادةَ تَرْتيبِ المحَسِّناتِ دَاخِلَ هَذَا القِسْمِ؛ الأسْهلُ فالأصعبُ، ومنَ الجَيِّدِ تَقْديمُ السَّجْعِ عَلَى الجِنَاسِ، وَإسقاطُ التَّفْصِيلاتِ مِنَ الجِنَاسِ وَغَيْرِهِ مِمَّا لَا يَحْتَاجُهُ الطَّالِبُ، ومنَ الجَيِّدِ تَقْديمُ الطِّبَاقِ والمقَابَلةِ عَلَى التَّوْرِيةِ في المحَسِّناتِ المعْنَوِيّةِ.

كما يَجْدُرُ بالمنهجِ المنشودِ أن يراعيَ التدرّجَ في التدريباتِ أيضًا.

ب) **مَبْدَأُ الوَظيفةِ**[25]: ويجْدُرُ بالتّأليفِ البلاغيِّ الجديدِ أنْ يَنْطَلِقَ في هَذَا المبْدَأِ مِنْ عَلَاقةِ المتَعَلِّمِ بِالعُلومِ الشَّرْعيّةِ وَالقُرْآنِ الكَريمِ، وبناءً عليهِ منَ الجَيِّدِ في هَذَا المنْهَجِ إسْقاطُ كُلِّ الفُروعِ البَلَاغِيّةِ (البديعِ والبيانِ والمعاني) الَّتِي خَلَا مِنْهَا القُرْآنُ الكَريمُ، أوكانت نادرةً فيهِ، وَمِنَ الأَمْثِلة عَلَى ذَلِكَ إسْقاطُ تأكيدُ المدحِ بما يُشْبِهُ الذّمَّ وتأكيدُ الذّمِّ بما يُشْبِهُ المدحَ والتَّشْبيهِ الضِّمْنيّ وَالتَّشْبيهِ المقْلوبِ، وَالاسْتِعَارةِ التَّمْثيليّةِ،

وَالكِنَايـةِ عَـنِ نِسْـبةٍ، والإبقـاء على الأصـول التي لا يَحْسُـنُ بالـدّارسِ الجَهْلُ فيها.

ج) **مَبْدَأُ الغايةِ:** إذْ وُجِدَتِ العُلومُ البلاغيَّةُ في الأصلِ لفَهْمِ الانزياحاتِ التي خَرَجَتْ عَنِ الأصلِ، ولِتَذَوُّقِ بَلاغةِ هذهِ الانْزِياحاتِ، فما جاءَ على الأصل لا يَحْتاجُ إلى عِلَّةٍ بلاغِيَّةٍ لِتَسْويغِ مَجِيئِهِ في هذا السِّياقِ أو ذاكَ، وبِناء عَليهِ يَجْدُرُ بالمَنْهجِ الجَديدِ أنْ يَهْتَمَّ بِما خرجَ عَنْ مُقْتَضَى الحالِ، وإسْقاطُ المعاني الجُزْئِيَّةِ المكْتَسَبَةِ من الدِّلالاتِ اللغَويَّةِ للألْفاظِ، إذْ كُتُبُ عِلْمِ المعاني تَمْتَلِئُ بِهذهِ الدِّلالاتِ المشارِ إليها آنِفًا.

د) **المَبْدَأُ التَّداوُلِيُّ:** والمقْصودُ بِهِ التَّمَسُّكُ بالمُتكرِّرِ والمستَخْدَمِ في مَوضُوعِ التَّأليفِ، وأنَّ نِسْبةَ الكَثرةِ والاسْتِخْدامِ تُتَّخَذُ مِعيارًا للشيوعِ في الموضُوعاتِ والأمْثِلَةِ والمفْرداتِ، وهو ما يُعَبَّرُ عنهُ أيضًا بِمَبْدَأِ الشيوعِ،[26] فإن لم يَكنْ كلُّ ما سَبَقَ مِنَ الشائِعِ السَّهْلِ المأنوسِ لَدى المتَعَلِّمِ، فيَجِبُ الانْتِباهُ إلى عَدَمِ جَعْلِ الأمثلة مِنَ الغَريبِ الحُوشيّ، وابْتِغاء الوسط بين الطَّرفينِ، وبناء عليه يجب أن تكونَ الأمثلةُ والشواهد والمعلوماتُ الّتي تقدّمُ للطَّلبةِ في الدُّروسِ سَهلةً عَصْرِيَّةً قَريبةً إِلَى حَيَاةِ المتَعَلِّمِ ما أمْكَنَ، ويُقَدَّمُ بَعْدَها التَّعريفُ للطَّلبةِ ثمَّ يَعْقُبُ التَّعْريفَ شواهدُ مِنَ القُرآنِ الكريمِ والشّعرِ العربيّ، فما عدنا معنيين بالكنايات الميتة من مثل قولهم: نؤوم الضحى، وطويل العماد، وكثير الرماد...إلخ، بل نحن مطالبون بالكنايات العصرية: كقولهم: طويل اليد، وطويل اللسان، ووزارة الداخلية، وللحيطان آذان..إلخ، ويَجِبُ الانتباهُ هنا إلى ضرورةِ شَرْحِ المفرداتِ في الحاشيةِ.

هـ) **مَبْدَأُ الإجمالِ وعدم التَّفْصيلِ ما أمكنَ (إسقاط الفروعِ)**

أغْنى البلاغيونَ عنواناتِ البلاغةِ في علومها الثلاثةِ (المعاني والبيان والبديع) بِأقسامٍ وتَفْصِيلاتٍ باعتباراتٍ مُخْتَلِفةٍ تَثْقُلُ على مُتَعَلِّم

العربيةِ من الناطقينَ بِغَيرها، فأنواع التشبيه مُتَعدِّدةٌ تبعا لأساس التقسيم، باعتبار الأداة، واعتبار الوجه، واعتبار النوع.. إلخ، أمَّا المرهِقُ لهم فتَفصيلاتُ علمِ المعاني، فـ (التعريف والتنكير) يُدْرَسانِ في المسندِ إليه، وكذلكَ يُدْرَسانِ في المسندِ، وكذلكَ يُدْرَسانِ في متعلقات أحوال الفعل،[27] ولنا أنْ نقولَ الأمرَ نفسَهُ في (التَّقديمِ والتَّأخِيرِ) في المسْنَدِ إليه والمسندِ ومتعلقات أحوال الفعل، وكذلكَ والحذف والذكر...إلخ، وقد توقَّف البلاغيُّونَ عندَ كلِّ قَضيّةٍ من هذه القضايا فأفردوا لها معانيَ مُتَعدِّدةً تجاوزت في أحيانٍ عشرَ دلالاتٍ في المسند إليهِ، ثمَّ أعادوا الكرّةَ في المسند ثم أعادوها ثالثةً في متعلقاتِ أحوال الفعل في استقصاءٍ للمعاني الجزئية المستَفادةِ من السياق العام لا من دلالة الظاهرةِ؛ فتثقل المادَّةُ الدراسيةُ على هؤلاء الطَّلبةِ إنْ قُدِّمَتْ لَهُم كما تُقدَّمُ للعربِ؛ وبناءً عليهِ يَنْبَغي أنْ يُقَدَّمَ عِلْمُ المعَانِي عَلَى شَكْلِ ظَوَاهِرَ في التَّرْكيبِ، يَبْدأُ بدلالةِ الجُمْلَتَينِ الاسْمِيَّةِ والفِعْلِيَّةِ وَمَعَانيهِمَا، ثُمَّ الخَبَرِ والإنْشاءِ، ثُمَّ يُقَدَّمَ الحَديثُ عَنْ أنْماطِ الإنْشاءِ الطَّلَبِيّ ودِلالاتِهِ؛ لأنَّ الإنشاءَ من أنماطِ الجُمَلِ التي يَعْتَريها حَذْفٌ وتَقْديمٌ وتأخيرٌ وتعريفٌ وتنكيرٌ، ثُمَّ تُقَدَّمَ دراسةُ دلالاتِ ظواهرِ التَّركيبِ عَلَى شَكْلِ ثُنَائِيَّاتٍ، فَنَتَنَاوَلُ بِالدَّرْسِ ثُنَائِيَّةَ (الذِّكْرِ وَالحَذْفِ)، ثُمَّ ثُنَائِيَّةَ (التَّقْديمِ وَالتَّأْخيرِ)، ثُمَّ ثُنَائِيَّةَ (التَّنْكِيرِ وَالتَّعْرِيفِ)، وهنا تَجْدُرُ بي الإشارَةُ إلى أنَّنا يَجِبُ أنْ نُقَدِّمَ الذِّكْرَ على الحذْفِ لأنَّ الأوَّلَ هو الأصْلُ، وكَذَلكَ الحالُ في (التَّقْدِيمِ والتَّأخيرِ)، وفي(التَّنْكِيرِ وَالتَّعْرِيفِ) خِلافًا لما هُوَ سائِدٌ في كُتُبِ البَلاغةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ هَذَا العِلْمُ بِالحَديثِ عَنْ أُسْلوبِ القَصْرِ.

فإذا قَدَّمنا عِلمَ المعاني بهَذهِ الطريقةِ يكون مِن السَّهلِ علينا إسقاط مَبحثِ الإسْنَادِ وَأَرْكَانِهِ، وأحوالِهِ، إذْ لا حاجةَ لهُ، مَا دَامَتِ الظَّوَاهِرُ

الَّتِي تُدْرَسُ في أَحْوَالِ المسْنَدِ إِلَيْهِ هي نَفْسَهَا تِلْكَ الظَّوَاهِرَ الَّتِي تُدْرَسُ في أَحْوَالِ المسْنَدِ، وَهي نَفْسُهَا الَّتِي تُدْرَسُ في أَحْوَالِ مُتَعَلِّقَاتِ الفِعْلِ.

و) مَبْدَأُ التَّدريباتِ المتنوعة والشاملة

ينبغي أنْ تكونَ التَّدْريباتُ مُتَنوِّعةً، وأنْ تُولى عنايةً خاصَّةً، وأنْ تكونَ مَدْروسةً لتُعَزِّزَ مهاراتٍ مُخْتَلِفةً: كالحِفْظِ والاسْتِذْكارِ، والتَّحْليلِ والتَّطبيقِ والإنْشاءِ والفَهمِ والتَّذوّقِ، ويَنبَغي أنْ تُحافِظَ الأسئلةُ فيها عَلَى نَمَطِيَّةٍ مُتَكَرِّرةٍ، مِنْ حَيثُ العَددُ والتَّرتيبُ والصِّياغةُ اللُّغويَّةُ أيضًا.

المَسارُ المقْتَرَحُ في تأليفِ كِتابِ بَلاغةٍ للنَّاطِقينَ بِغيرِ العَربيَّةِ

أظنُّ أنَّ المسارَ البديلَ قَد أفْصَحَ عنْ نفسهِ منْ خِلالِ المبادئ الّتي سُقْتُها مِنْ قَبْلُ، وأُعِيدُ رَسْمَهُ بإيجازٍ.

يُقْلبُ المسارُ في التَّأليفِ البَلاغيِّ للنَّاطقينَ بغيرِ العربيَّةِ، ويُبْدَأُ لَهم بِعِلْمِ البَديعِ، ويُقدَّمُ في البَديعِ دِراسَةُ أهمّ المحَسِّناتِ اللَّفْظيّةِ، وتَتْلوها أهَمُّ المحَسِّناتِ المعْنويَّةِ، مِنْ دُونِ اسْتقْصائِها كُلِّها؛ لأنَّ الحِصَصَ المخَصّصَةَ لا تَكْفي للإحاطةِ بِها جَميعِها، كما أَوضَحْتُ آنفًا.

عِلمُ البَيانِ: يُسْقَطُ منهُ المجازُ، ويُبدَأُ فيه بالتَّشبيهِ التَّامّ وأرْكانِهِ، ثُمَّ أنْواعِ التشبيه باعتبارِ الأداةِ والوجهِ؛ لنَصِلَ مِنْ خلالِ ذلكَ إلى التَّشبيهِ البَليغِ والتَّمثيليّ، ويُسقطُ التَّشبيهُ المقلوبُ والتَّشبيهُ الضِّمنيُّ، ومِنْ ثَمَّ تُقدَّمُ الاسْتِعارةُ، ويُكتَفى بالاسْتعارتينِ المكنيَّةِ والتَّصريحيّةِ، ومِن ثَمّ تُقدَّمُ الكنايةِ، ويُكْتَفى فيها بالكِنايةِ عَنْ صِفةٍ، والكنايةِ عَنْ مَوصوفٍ، مَعَ الاهْتِمامِ بالكناياتِ الحَديثةِ وشيءٍ منَ القديمةِ.

عِلمُ المعانِي: يُقدَّمُ عِلمُ المعاني عَلى أنَّهُ دراسةُ المعاني البَلاغيَّةِ في التَّركيبِ، إذًا علينا أنْ نتجاوزَ معانيَ كُلِّ ما جاءَ على الأصلِ؛ لأنّهُ أصلٌ، وأنْ نَدرسَ الاستخدامَ البلاغيَّ للظَّاهرةِ اللُّغويّةِ، ومنَ المستحسنِ أنْ نَلُمَّ شَعثَ الظَّواهرِ اللُّغويّةِ المبعثَرَةِ بينَ أحوالِ المسندِ إليهِ وأحوالِ المسندِ ومُقيّداتِ الإسنادِ أو

مُتعلّقاتِ أحوال الفِعلِ، ونَجعلَها في مَوضِعٍ واحدٍ، ونُسقِطَ مَبْحثَ الإسنادِ مِنْ درسِ المعاني، ووقتَئذٍ نَدرسُ الدِّلالاتِ البلاغيَّةَ لظاهرةِ الحَذفِ مثلاً مِنْ دُونِ الحاجةِ إلى قضيةِ الإسنادِ، ويبدو لِي أنَّ التَّرتيبَ الّذي سأقَدِّمُهُ يَتوافَقُ وجُملةَ المبادئِ الّتي طَرحْتُها مِنْ قَبلُ، ويَكونُ ترتيبهُ على الشَّكلِ الآتي:

نـدرسُ دلالـةَ الجملـةِ الاسـميّةِ والفعليَـةِ بِدايـةً، ثُـمَّ الخَبرَ والإنْشـاءَ، ثُـمَّ ظَـواهرَ التَّركيـبِ على شَـكلِ ثُنائيَّـاتٍ كـ (الحَـذفِ والـذِّكرِ) و(التَّنْكيرِ والتَّعريـفِ) و(التَّأخيرِ والتَّقديمِ)، ثم أسلوبَ القَصْرِ.

وَأَنَا هُنَا لَا أَزْعُمُ أَنَّني قَدَّمْتُ للمتَعَلِّمِ كُلَّ البَلَاغة العَرَبيّة، لكنني قدّمت له كفايةً بلاغية يُمكن أن تُقدّمَ في سنةٍ دراسيةٍ واحدة بواقع ساعتين أسبوعيا– وهو ما يُسمَح به رسميًّا- واخْتَرْتُ لَهُ الأَسَاسَ الَّذِي يَحْتَاجُ إليهِ في تَذَوُّقِهِ البَلَاغِيّ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ، وَتَرَكْتُ لَهُ الرُّجوعَ إِلَى الكُتُبِ والمصَادِرِ في البَلَاغة بَعْدَ أَنْ يَشْتَدَّ عُودُهُ إِذَا أَرَادَ الاسْتِزَادةَ، فَوَقْتَئِذٍ لَنْ تَكونَ لَهُ مُشْكِلةٌ في مُبَاشَرةِ المصَادِرِ بَعْدَ أَنْ أَحَاطَ بِالأَسَاسيّاتِ.

طَريقةُ التَّقْديمِ

أقترحُ أنْ تَكونَ طَريقةُ التَّقْديمِ عَلَى الشَّكْلِ الآتي:

التقديم للموْضوعِ بِالعُنْوَانِ، وَمِنْ ثَمَّ أَمْثِلةٌ بَسيطةٌ، والخروجُ مِنَ الأَمْثِلةِ إِلَى شَرْحِ الموْضوعِ، وَمِنْ ثَمَّ استنتاجُ فِكْرةِ الدَّرْسِ، وَشَرْحُ مُصْطَلَحَاتِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تقديم سياقٍ بَلَاغِيّ مُسْتَعْمَلٍ في القُرْآنِ الكَرِيمِ أَوْ في الشِّعْرِ يَحْتَوي عَلَى الظَّاهِرة الَّتِي هي مِحْوَرُ الدَّرْسِ وَمَوْضوعُهُ.

وهنا يجدرُ بنا الابْتِعادُ في التَّعْرِيفاتِ عن التَّعْرِيفِ بـ (ما) الموصوليّةِ، لأنَّ أغلبَ مُتَعَلِّمِي العربيَّةِ مِن غَيرِ النَّاطقينَ بِها يَفهَمونَها على أنَّها نَافِيةٌ.[28]

كما ينبغي تحديثُ الأَمْثِلةِ المسْتَخْدَمةِ قَدرَ الإمكانِ، وعدمُ الاقتصارِ على الأَمْثِلةِ المحْفوظةِ في كُتُبِ البَلاغةِ، والإتيانُ بتَشْبيهاتٍ عَصْريّةٍ، واسْتِعاراتٍ

وكِناياتٍ تُلامسُ الواقِعَ، وما زالَتْ مُتَداولةً، إلى جانِبِ تِلْكَ المتَداوَلةِ في كُتُبِ البَلاغَةِ، وتذييل الدروسِ ببَعضِ القَصائِدِ الحَديثةِ القَريبةِ المتَنَاوَلِ مِنْ فَهْمِ الدَّارِسينَ.

أمّا بالنِّسبةِ إلى الضَّبْطِ بالحَرَكَاتِ فينبغي ضَبطُ ما يأتي من حُرُوفِ الكَلِمةِ:

1. ضبط حركة حرفِ الإعراب.
2. ضبط الفعل المبني للمجهول.
3. ضبط بنية الكلمة إذا تشابهت وكلمة أخرى.
4. ضبط حروف المعاني التي لها نظائر.
5. حَرَكةَ هَمْزةِ إذا كانت مَضْمومةً.
6. حُروفَ المعَانِي مَا لم تَشْتَبِهْ بِحُروفٍ أُخْرَى، كـ اللَّام المزَحْلَقة واللَّامِ الجَارّةِ، و(إنِ) الشَّرْطيّةِ و(إنَّ) النّاسِخةِ.
7. رسم الشّدّة أينما وردت؛ على الرغم من أنّ الشدّة ليست من الحركات.

أمّا السَّاعَاتُ اللَّازِمةُ لِهَذَا المنْهَجِ، فَهو يَحْتَاجُ إِلَى سِتّينَ سَاعةً دِرَاسِيّةً، بِوَاقِعِ عِشْرينَ سَاعةً دِرَاسِيّةً لِكُلِّ عِلْمٍ تَقريبًا، وأمَّا المسْتَوَيَاتُ التَّعْليميَّةُ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ تُقَدَّمَ لَهَا هَذَهِ المادّةُ، فَأَفْتَرِضُ أَنَّ هَذَهِ المادّةَ بِهَذَا الشَّكْلِ وَالتَّصْنيفِ يُمْكِنُ أَنْ تُقَدَّمَ إِلَى الطُّلَّابِ في المسْتَوَى المتَوَسِّطِ الأَعْلَى.

الخاتمة

يحتاجُ هذا البحثُ إلى التوقّفِ عنده، وتَدارُسِهِ مِن قِبَلِ المعنيّين بالتّأليفِ والدّرسِ البَلاغيّ بمُطلقِ الحِيادِ، دونَ التَّعصُّبِ إلى القديمِ لقِدمِهِ، أو احْتقارِ الجديدِ لجِدّتهِ، وتَطبيقِهِ وتجربتِهِ عمليًّا.

ويُوصي هذا البَحثُ بوجوبِ العَملِ على تأليفِ مَنْهجٍ بَلاغيٍّ جديدٍ يكونُ مُوجّهًا إلى النَّاطقين بغير العربية، فما بين أيدي الطّلبةِ لا يفي بالغَرضِ.

فَهَذا عَمَلي ومِقْدارُ اجْتِهادي مِنْ خِلَالِ تَجْرِبةٍ عَمَليَّةٍ وَقَفَتْ فيها على وَاقِعِ هَذِهِ المادَّةِ لِمدَّةِ ثَلاثِ سَنواتٍ مُتتاليةٍ، ووَقَفْتُ فيها على مُعاناةِ الطُّلَّابِ، ووفَّقني

اللهُ إلى هذا المسارِ في تَدْريسِ المادّةِ، وطَبَّقْتُها فَنَجَحَتْ هَذِهِ التَّجْرِبةُ ولله الحَمدُ والمِنَّةُ، وأحْبَبْتُ أنْ أُشارِكَها مَعَ المعْنِيّينَ بتَعلِيمِ البلاغَةِ العَرَبِيّةِ للنّاطِقينَ بِغَيرها.

فَإنْ أَصَبْتُ فَتَوفِيقٌ مِنَ اللهِ تَعَالى، وإنْ كانَتِ الأُخْرى فَتَقْصِيرٌ مِنّي، عَلى أَنَّني أَنْتَظِرُ الملاحَظَاتِ مِنْ كُلِّ غَيُورٍ على لُغةِ القُرآنِ الكَريمِ: مِنْ طُلّابٍ وقارِئينَ ومُدَرِّسِينَ في الميدانِ لاسْتِدراكِ الخَلَلِ، ورَأْبِ الصَّدْعِ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

الهوامش

1 انظر: الزيادات، تيسير محمد، صعوبات تعليم البلاغة العربية للناطقين بغيرها "جامعة شرناق/تركيا أنموذجا" مجلة القسم العربي جامعة بنجاب، لاهور- باكستان .العدد الثالث والعشرون، 2016م. ص215

2انظر: السكاكي، أبو يعقوب، *مفتاح العلوم*، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان 1987م، ص184؛ القزويني، محمد بن عبد الرحمن، *الإيضاح في علوم البلاغة*، تح. محمد عبد المنعم خفاجي ط3: دار الجيل – بيروت2/ 19

[3]انظر: حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن، *البلاغة العربية*، ط1: دار القلم، دمشق 1996م، 1/ 42؛ الهاشِميّ، أحمد بن إبراهيمَ؛ *جواهرُ البَلاغةِ في المعاني والبيانِ والبديعِ*، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط: المكتبة العصرية، بيروت، ص112

[4]انظر: قاسم، محمد أحمد ، وديب، محيي الدين؛ *علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)* ، ط1: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان 2003م، ص307

[5]انظر: المراغي، أحمد بن مصطفى؛ *علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)*،دار الكتب العلمية، بيروت، ص81

6السكاكي، ص184 وانظر: الصعيدي، عبد المتعال؛ *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة*، ط17: مكتبة الآداب-2005م 1/ 84؛ لجنة التأليف في الجامعة، *البلاغة العربيّة القسم الثاني*، ط:جامعة المدينة العالميّة في ماليزيا، د.ت، ص189.

[7]الهاشمي، ص112

[8]القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري؛ *زهر الآداب وثمر الألباب*، ط: دار الجيل، بيروت 1/ 105

[9]ساق البلاغيون شيئا غير قليل من الأغراض للتعريف بالموصولية، ومنها: إما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى، وإما لاستهجان التصريح بالاسم. وإما لزيادة التقرير، وإما للتفخيم؛ وإما لتنبيه المخاطب على خطئه؛ وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر، ثم إنه ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم لشأن

الخبر، أو لشأن غيره، وربما جُعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، وربما جعل ذريعة إلى التنبيه للمخاطب على خطأ. انظر: الصعيدي، 81/1

[10] حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن، *البلاغة العربية*، ط1: دار القلم، دمشق 1996م، 1/ 432

[11] سورة طه 78/20.

[12] مناهج جامعة المدينة العالمية، *البلاغة: علم المعاني*، ص445

[13] سورة البقرة 277/2

[14] حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن، *البلاغة العربية*، ط1: دار القلم، دمشق 1996م، 1/ 434

[15] حَبَنَّكَة،، 1/ 434

[16] أبو موسى محمد محمد؛ خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط7: مكتبة وهبة، ص335

[17] مناهج جامعة المدينة العالمية؛ *البلاغة: علم المعاني*، ص40

18المتوكل أحمد؛ نحو قراءة جديدة لنظرية النظم عند الجرجاني، منشورات كلية الآداب بالرباط (لسانيات وسيميائيات)، ع18-16 أبريل 1976، ص92

[19] الشنطي محمد صالح؛ *فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه*، ط5: دار الأندلس للنشر والتوزيع - السعودية / حائل- 2001 م

[20] عبداللطيف عماد؛ *تدريس البلاغة العربية*، مجلة عالم الفكر، الكويت - العدد 176 عام 2018م ص36

[21] على سبيل المثال لا الحصر.

22ذلك لأنّ خلو الكتاب من الحركات مشتت للطلبة من الناطقين بغيرها، على أننا لا نقول بضبط كل الحروف لأن ذلك متعب للكاتب والقارئ.

23العصيلي، عبدالعزيز، *أساسيات تعليم الغة العربية للناطقين بغيرها*، ط1: مكة المكرمة - جامعة أمّ القرى1422هـ ، ص241

24ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، *مقدمة ابن خلدون*، بيروت، دار الجيل، د.ت. 1/ 589

[25] على الرغم من أننا ننطلق من مبدأ الوظيفة في اقتراحنا هذا إلّا أننا لا نقول بأنّ كلّ الأمثلة ستكون من القرآن الكريم، بل سيكون بعضها من الشعر، وبعضها من الأمثال، والخطب، والأمثلة المصنوعة، ولكننا نحرص على أن نقدّم لهذا الطالب مدخلا إلى البلاغة العربية يتناسب والساعات المخصصة لهذا الدرس.

26العصيلي، عبدالعزيز، ص242

27ومن ذلك قول القزويني- على سبيل المثال - في تنكير المسند إليه: وأما تنكير المسند إليه: فللإفراد كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ سورة القصص 28/ 20 أي: فرد من أشخاص الرجال، ومن تنكير غير المسند إليه للأفراد قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ سورة الزمر 29/39 وللنوعية قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ سورة البقرة2/ 96 أي نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزائدة، أو للتعظيم والتهويل أو للتحقير أو للتكثير كقولهم "أن له لابلا" و"أن له لغنما" أو للتقليل. انظر: القزويني ، 2/ 35

ثم يرجع مرة أخرى إلى هذه الدلالات في تنكير المسند. فيقول: وأما تنكير المسند: فإما لإرادة عدم الحصر والعهد، كقولك: زيد كاتب وعمرو شاعر، وإما للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انحطاطه **على ما مر في المسند إليه**. انظر: القزويني ، 2/ 128 وجملته الأخيرة (على ما مرّ في المسند إليه) دليل على صدق ما ذهبنا إليه.

[28] ذلك لأن الشريحة المستهدفة من الطلاب هم في المستوى المتوسط الأعلى، ويسرع إلى ذهن أكثرهم أنَّ المقصود بها (ما) النافية.

المراجع

القرآن الكريم.

أبو موسى، محمد محمد: **خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة السابعة.

بولوط، علي: **المَيَسَّرُ في البَلَاغة للنَّاطِقينَ بِغَيْرِها**، جامعة محمد الفاتح الوقفية، إستنبول، 2014م، الطبعة الأولى.

الجارم، علي وأمين، مصطفى: **البلاغةُ الواضحَةُ**،دار المعارف، مصر، د.ت

الحامد، عبدالله بن حامد وآخرون: **البَلاغةُ والنَّقْدُ الأَدَبيّ**، جامعة الإمام- الرياض، 2004م، الطبعة الثانية.

حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن: **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، 1996م،الطبعة الأولى

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: **مقدمة ابن خلدون**، بيروت، دار الجيل، د.ت

السكاكي، أبو يعقوب: **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م،الطبعة الثانية.

سليمان، إيهاب عبد الرشيد: **البَلَاغةُ المصَوَّرةُ**، ط: مركز الدِّيوان، سلسلة العربيّة للعالم. د.ت.

الشنطي، محمد صالح: **فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه**، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، 2001 م،الطبعة الخامسة.

الصعيدي، عبد المتعال: **بغية الإيضاح بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب، 2005م،الطبعة السابعة عشرة

عبدالغني، أيمن أمين: **الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني)**،دار التوفيقيّة ، القاهرة 2011م

العصيلي، عبدالعزيز: **أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها**، جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة، 1422هـ ، الطبعة الأولى.

عبداللطيف، عماد: **تدريس البلاغة العربية**، مجلة عالم الفكر، الكويت - العدد 176 عام 2018م

قاسم، محمد أحمد ، وديب، محيي الدين: **علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)**، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2003م،الطبعة الأولى.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن؛ **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ، د.ت، الطبعة الثالثة.

القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري أبو إسحاق؛ **زهر الآداب وثمر الألباب**، دار الجيل، بيروت، د.ت

لجنة التأليف في الجامعة؛ **البلاغة العربيّة (البيان والبديع والمعاني)**، جامعة المدينة العالميّة في ماليزيا.

مايو، قدري؛ **المعِينُ في البَلاغةِ العَرَبيّةِ (البيان – البديع – المعَانِي)**، عالم الكتب، بيروت2000م

الهاشِميّ، أحمد بْن إبراهيمَ؛ **جواهرُ البَلاغةِ في المعاني والبيانِ والبديعِ**، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت